

رجاء النقاش ، محمود درويش شاعر الارض المحتلة (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢)

بعملية نقدها ووضعها في اطارها التاريخية والفنية . بل هدف الكاتب يقترب من هدف الصحفي الذي يقول اشياء كثيرة دون ان يصنفها او يكتشف علاقاتها الخفية . هكذا تضعي الحدود بين نوعين مختلفين من الكتابة . فنحن امام ريبورتاج صحفي عنده طموح النقد الادبي . والناقد لا يشرح لنا منهجيته ، هل هي منهجية تاريخية اجتماعية ، او انه يقرأ النص قراءة جديدة ليكتشف ابعاده من خلال اللغة الشعرية وحدها . وعدم تحديد المنهجية ينعكس على سياق التليل ، الذي يفقد تماسكه من البداية ، ليصبح مصفا لمعلومات كثيرة بحاجة الى التوبيخ ، وليصبح مصدا خارجيا لواقع تاريخي ، دون الدخول الى معاناة علاقاته الداخلية . فالمدرسة النقدية الاجتماعية لا تكتفي بعرض الواقع الاجتماعي الذي نبت فيه الشعر كما يفعل رجا النقاش في القسم الاول من كتابه ، بل تغوص في تحليل البنية الاجتماعية وعلاقتها بسائر البنى الايديولوجية والاقتصادية والسياسية ، لتصل الى نتائج نهائية او شبه نهائية في تفسير ظاهرة فنية محددة . هكذا يبني من كتاب النقاش الجانب التقريري الذي يعرفنا بمحمود درويش الانسان . والحقيقة ان هذا الجانب لا يضيف اشياء جديدة الى معرفتنا بالشاعر التي يمكن ان نستقيها من كتابه « شيء عن الوطن » او من العدد الخاص الذي اصدرته مجلة « الطريق » اللبنانية عن ادب الارض المحتلة . ان المنقطة الخطيرة التي يشير اليها هذا الكتاب هي الفراغ النقدي الكبير الذي يصاحب العملية ابداعية في بلادنا . حيث يكتفي اغلب النقد ، بالوقوف من الخارج امام الاعمال الادبية ويكتفي بتسجيل واقعنا دون المساهمة في الكشف عن بنيتها الداخلية واستشراف آفاقها .

ب - ينقسم الكتاب الى تسعة عشر فصلا . الفصول السبعة الاولى هي بمثابة مقدمات يعرض فيها المؤلف لواقع العرب في اسرائيل ، ثم ينتقل ليستعرض تطور الشعر الفلسطيني من ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وابي سلمى مرورا بيوسف الخليل ودودي طوقان حتى يصل الى درويش والفاسم وزباد . وهذا القسم هو معالجة سريعة للحركة الشعرية الفلسطينية يغلب عليها

يلتح على كتاب رجا النقاش ، « محمود درويش شاعر الارض المحتلة » ، العديد من الاسئلة المنهجية . فالكتاب هو محاولة نقدية لشعر محمود درويش ضمن رؤية فكرية محددة . هدفها الاساسي التعريف بالشاعر وعرض قصائده ونقدها ، ومن ثم وضعها في اطار الحركة الشعرية العربية المعاصرة . والكتاب في محاولته هذه يسقط في التقليدية النقدية التي تستخدم التصنيف التقليدي للشعر ، ولا تحاول ان توكله في المعاصرة التي بدأت الحركة الشعرية المعاصرة تثقها لنفسها منذ الخمسينات . فالشعر المعاصر بحاجة الى نقد جديد ، الى روحية جديدة ومنهجية تنبثق من قلب العملية ابداعية ولا تسقط عليها اسقاطا . لا سيما وان الحركة الشعرية المعاصرة ، رغم انجازاتها الفنية ، لا تزال تشق طريقا مجهولا وجديدا . والكتاب هو دراسة لشاعر لا يزال في بدايات مغامرته الفنية . من هنا فان النقد يجب ان ينصف بالحركية التي تهدف الى كشف اتجاه تطور الشاعر وآفاقه من خلال قراءة شعره المنشور .

ان الذي يهمنا من كتاب رجا النقاش امران اساسيان : ١ - نقاش منهجي هدفه المساهمة في البحث عن منهجية جديدة لدراسة الشعر المعاصر ، ٢ - دراسة اثر المنهج النقدي التقليدي في اغراق الشعر من طموحاته الثورية ، وتحويله الى جزء هامشي في حياتنا الفكرية .

من هنا ، فاننا سوف نبدى سبع ملاحظات تنحور بالدرجة الاولى حصول منهجية الكتاب ورؤيته النقدية .

أ - ما هي العلاقة بين النقد الادبي والريبورتاج الصحفي ؟ الحقيقة ان الكتاب لا يعطي جوابا على هذا السؤال ، فهو في مجمله مزيج من الامرين معا . انه يريد التعريف بالشاعر وينظر الى شعره نظرة الصحفي الذي يتوجه الى قراء من مختلف الاهتمامات . لذلك فهو يريد جذب انتباه الجميع . ومن ناحية اخرى فالكتاب هو في الحقيقة سلسلة مقالات لا تربطها ببعضها وحدة السياق او وحدة الرؤية . اي ان الكتاب ليس بناء منهجيا يضيء الجوانب الغامضة من شعر درويش ، ثم يقوم